وثيقة

بيان الطلبة الايرانيين بعد سقوط نظام صدام

.. لعل خيال الدكتاتورية يستطيع ان يتصور نهايتها

ترجمة وتقديم:
سرمد الطائي

> بعد عشرين يوماً على حلول فصل الربيع، تلقينا نبأ (احتلال) بغداد ونهاية شتاء حكومة صدام الطويل الذي دام ثلاثين عاماً، بوصفه النبأ الاكثر اثارة. وعلى الرغم من انه لم يكن بالأمر المستبعد خلال المرحلة الماضية (الا لدى محللي التلفزة الإيرانية طبعاً)، فإن الحدث كان عظيماً الى درجة انه يمثل دافعاً للتأمل وأخذ الدرس العميق لدى العقلاء وذوي الرأي.

تقديم:
أو حاء مركزيات بالية
قراءة ايرانية لدلالات درس عراقي

قدرني ان اقترب كثيراً من مقولات التيار الاصلاحي في ايران خلال الاعوام الماضية، سواء الفكرية منها والسياسية، ولاسيما حين توليت في العامين الماضيين تعريب اربعة كتب للدكتور محمد خاتمي رئيس الجمهورية الاسلامية في ايران لصلحة دار الفكر في دمشق، كان آخرها كتاب (حوار الحضارات) الذي صدر سنة يومها وجد تنفسي مولعاً بالتفاصيل اليومية لجدل السياسة والفكر في ايران وصراع اجيال الثورة فيها. وعلى الرغم من ان إقامتي في المنفى الايراني لاكثر من عقد لم تفلح في دمجي بالمجتمع ذاك، ولو بهامش يسير للاندماج (كما هي الحال مع معظم الغرباء الذين تطول إقامتهم في إيران!)، إلا ان الاختناق السياسي الذي نعانيه -عربياً وعراقياً- جعلني اجد في صدامات ايران انموذجاً متميزاً للجدل بين عناصر الشد والجذب الاجتماعي في عالمنا الثالث، حتى ان عزلتي عن الواقع الايراني لم تؤد الى عزلي عن ذلك الجدل الثري، بل لقد تعاملت معه ثقافياً بوصفه واحدة من معاركي الخاصة ومرحلة تنتمي لها (الأنا) العالمثالثية.

كان شبح سجن (ايفين) يخيم على الحركة الثقافية، ويختطف الطاعنة في السن (مهر انغيزكار) رائدة الحركة النسوية و(هاشم اغاجري) الثائر المفتون بـ(علي شريعتي) ومئات غيرهم يختفون في المعتقل المخيف كما تختفي سنوياً عشرات الصحف والاصدارات الاصلاحية (أغلقت سلطة القضاء / من صحف التيار الاصلاحي في العامين الاخيرين) وكان اصدقاء اعزاء يتهمونني بالتهور لأن اخطبوط القضاء لن يستثني حتى متطفلاً عراقياً مثلي ينجرف بحماس المعركة إلى درجة تجعله يقارن بين المحافظين الإيرانيين وحركة طالبان عبر الحديث عن دائرة اشتراك واسعة في البنى الفكرية للطرفين (قمت بهذه المقارنة في مقدمة الترجمة العربية لكتاب خاتمي "التنمية السياسية والأمن" التي صدرت سنة)، لكن احساسي بالشراكة العميقة مع منطلقات الاصلاحية الايرانية جعلني اغامر اكثر من مرة في التعامل النقدي مع جدل الاصلاحات السياسية هناك.

لقد فاجأني -في إطار اهتمامي- هذا النص باللغة الفارسية صدر قبل خمسة اشهر يعبر عن قراءة ايرانية بالغة الدلالة للدرس العراقي الذي غير سياقات شتى، وهو النص الذي نقدم هنا ترجمته العربية وهو بيان اصدره يوم (الفائت مكتب تعزيز الوحدة (الاتحاد الاسلامي لطلبة الجامعات الايرانية)، ويحمل البيان في الاصل عنوان (دعوا هذا الوطن يعود وطناً مرة اخرى) سيجد القارئ في نص البيان اهتماماً كبيراً يبديه طلبة الجامعات الايرانية بما يسمونه (الدرس الشعبي العراقي) فهم يؤمنون بوجود توحد في الموقف من الانظمة التوتاليتارية القائمة في المنطقة، ويحاولون توظيف دلالات الحدث العراقي هذا في صراعهم من اجل الديمقراطية في ايران. وبغض النظر عن الجرأة البالغة في النص والتحدي الذي مثله ولاسيما في وقت صدوره (جرى يومذاك اعتقال خمسة آلاف طالب جامعي في إيران أثناء التظاهرات الطلابية الواسعة التي شهدتها المدن الايرانية الكبرى للمطالبة بالخروج من المأزق السياسي المزمن، وقد طالب المحافظون حينئذ بإعدام بعض القيادات الطلابية بتهمة الإفساد في الأرض)، اقول: بغض النظر عن هذا، يمثل هذا النص رؤية جديدة آخذة في التبلور ويجري استيعابها وتطويرها من قبل الاجيال الواعدة في مجتمعات العالم الثالث. انها رؤية تتبنى فاعلية النقد بعيداً عن توفيقية الاحتجاج ونسبية المعالجات ضد اطلاقيات القرون الوسطى، وواقعية الخيار تجاوزاً لرومانسية الكفاح، فيما يتقوم كل هذا ضمن اتجاه (الضفة الثالثة) باعتماد الوضوح والشفافية كاستراتيجية ثقافية تتولى التمييز الدقيق بين تسويات التعايش العملي ومرونة النقد الشفاف على مستوى المعرفة التي يكون نتاجها الحيادي جوهراً للموقف الثقافي يميزه عن مرض التبشيرية الدعوية التي تقدم مركبات هجينة لا فرز فيها بين استحقاقات المعرفة ومتطلبات الوضوح وقيم التعايش العملي واستراتيجياته. ليكن النص الآتي قناة للتواصل بين ممثلي (الضفة الثالثة) يعزز دلالات الدرس العراقي التي لاحقناها عن كثب بعد ستة أشهر من التاسع من نيسان، او هكذا يفترض فيما يعبر عن حزمة ضوء مكثفة ترسم ملامح طيف من الضفاف الثقافية الجديدة. ربما اتاح الفرصة لمنظومات المراحل الماضية لكي تعيد النظر في اكثر من مستوى وتستعيد السؤال النقدي الغائب لتقلص مساحات هائلة من اللامفكر فيه وتتجرأ قليلاً على فضح مخاتلات الحقيقة او لعبتها. ربما امتلكتنا الجرأة حينها كي نصرخ وننوح بوجع مركزيات بالية ما فتئت تضطهد الانسان العراقي ونظائره وتستهتر بفردانيته إرضاءً لنزوات من سحقتهم مرة (طاقم الأقزام الرمادية).

WE SUPPORT
STRUGGLE OF
THE
IRANIAN PEOPLE

النص

كان (الله) الذي يحول الحول والاحوال قد اجاب دعاء الشعب العراقي هذا العام قبل سواه من الشعوب التي دأبت على ترديد (دعاء الربيع وتحويل الأحوال)، فجاء ربيع بغداد متزامناً مع ربيع الطبيعة، ليأخذ الشعب بزمام المبادرة، فتهاوت قصور صدام ومباني حكومته وباتت تماثيله المهزومة لعبة يتقاذفها فتيان الشوارع والاسواق، فيما تعيد هذه المشاهد الى الذاكرة دورات من التاريخ.. سقوط المدائن ونهاية يزدجرد.. هزيمة دار الخلافة والمستعصم ونهاية كل اشكال الدكتاتورية في التاريخ. فإذا لم يفلح سقوط المدائن وشتى النماذج المشابهة في ان يكون عبرة للحكام طوال هذه القرون، فلعل ما جرى في بغداد يدفع خيال الدكتاتورية الى ان تتصور النهاية تلك وتأخذ الدرس منها.

يقرر الدرس العراقي ان شعباً تراكم عليه ظلم الحاكم وصودرت حقوقه الانسانية ويئس من إصلاح شؤونه وعجز عن تغيير حاله لن يأس على (مجيء الاسكندر) أبداً ناهيك عن أنه قد يكون تمنى ذلك أساساً. لن يقف شعب كهذا في ضوء الدرس العراقي، امام جحافل الاسكندر، وحينئذ لن يجدي اللجوء الى مفاهيم (الاستقلال) و(وحدة التراب) في تسويغ تلاعب الحكومات بمقدرات الشعوب وإدارتها أمر الويلات، ولن يكون التشدق بمقولات كهذه الا مدعاة للسخرية الجماهيرية، ذلك ان (الاستقلال) لن يكون ذا قيمة للأمة حين يتحول الى ذريعة تشرعن مصادرة مصالحها القومية وازدراء الحقوق الانسانية لأبنائها. وهكذا سيفقد مفهوم (الاستقلال) اهميته إذا كان يعني وضع إطار ماثل [illegible] يمكن لأي حاكم ان يمارس داخله مايشاء. حين نلاحظ التاريخ الحافل لشتى الدكتاتوريات (الوطنية) سندرك حجم الهراء الذي ينطوي عليه قول من يزعم بأن شخصاً مثل صدام هو افضل -من جهة انه عراقي- من غارنر أو بريمر (الامريكيين)، وان في وسع صدام ان يحقق مصالح العراق وشعبه على نحو افضل منهما.

بيد اننا لابد ان نذكر ان هذه الحرب ستترك اثراً سلبياً يتقاطع مع تصورات امريكا. اذ من المتوقع ان تؤدي الحرب الى تزايد نفوذ الحركة الاصولية وتعزيز مبرراتها في العالم، وفي البلدان الاسلامية على نحو خاص، إذ سيسوغ هؤلاء مواقفهم عبر تجييش الجمهور وتعبئته، وسيتاح للعديد من الزعامات الاصولية الانتهازية -بفضل (قميص عثمان)- ان تشرعن فتاوى العنف والقتل في شتى انحاء العالم، وان تهيئ ارضية لإشاعة الافكار المناوئة للغرب، التي تتجاهل مختلف المكاسب الايجابية التي حققها الغربيون، الأمر الذي سيحول دون تأسيس الحوار البناء بين الغرب والاسلام وتطويره في شتى البلدان، وسيوجه ضربة قوية الى الاتجاهات والحركات الفكرية التي تحاول تعزيز العقلانية في العالم الاسلامي، ولعله سيؤدي الى تهييج الغوغاء وإثارتهم بسرعة. ان ما قامت به امريكا في العراق يمثل فرصة للشعوب المتعلقة لأن تمارس الضغط على حكوماتها الشمولية في سبيل التحرر من الجور والخداع، وهي فرصة للمطالبين بالحرية لأن يتولوا إفهام حكوماتهم ان البقاء في السلطة وتواصل الملك والخلافة والولاية والإمارة بات يكلف اصحابه ثمناً اكبر من الماضي، وانه لم يعد من المجدي تأجيل الملفات الداخلية والمراهنة الفارغة على مبررات واهية من قبيل الجيش وقوات الحرس والنخبة الفعلية. ولكن استثمار الفرصة المتاحة يتطلب شجاعة وشهامة لا مجاملة وصفقات وتسويات، شجاعة في كشف الحقائق المغيبة التي قمنا باجترارها طيلة الاعوام الماضية، وشهامة تجعلنا نتعفف عن ممارسة الكذب وحشو اذهان الجمهور بخدع جرى تغليفها بأشكال تنتسب الى الاسلام أو الدين أو التراث أو الثورة أو القدس او فلسطين أو مقارعة القوى العظمى أو ما الى ذلك من آلاف المقولات المشوهة التي استهلكناها طوال الاعوام الماضية... وشجاعة في الموقف تتجنب البرود والفتور والحيادية لدى المفكرين والنخب، وتستنقذ مفاهيم (الديمقراطية) و(حقوق الانسان) و(الحرية) ولا تتركها للانتهازيين من الاعداء أو مضيعي الفرص من الاصدقاء، لكي لا تتحول الى امر يعبث به الشيوخ واهل الفتوى والحسبة. لقد لاحظنا التحليل العقيم الذي دأب على ترديده في ايران، رجال الدولة والمحللون الحاذقون في مؤسسة الاذاعة والتلفزيون، وكيف انهار كل هذا حين ألجأت امريكا في اقل من عشرين يوماً، واحداً من أقوى جيوش المنطقة واضطرته الى الاستسلام. ولم يكن ليحول دون سيطرة امريكا على كل هذا في عشرين يوماً تصريحات السيد وزير الاستخبارات الايراني الواثقة، ولا المقاومة الشعبية العراقية التي بشر بها التلفزيون الايراني وقناة (العالم) الفضائية.

أيها السادة.

انتم تقفون الآن أمام شتى الفرص الضيعة، تلك التي توشك ان تتحول الى تحديات تهددنا، فنكرر تحذيرنا الاخير ونصيحتنا المسؤولة، وفي وسعكم ان تستفيقوا هذه المرة في الاقل لتستعيدوا الشرعية المفقودة من خلال إعادة الاعتبار الى إرادة الشعب والخضوع لمطالبه. وبكلمة كثيفة الدلالة: ان الفرص المضيعة تتجسد في (تجاهل مطالب الشعب) وعلى هذا الاساس ندعوكم. وقد اناخ (الاسكندر) في جوارنا ركابه واستقر به المقام -الى ان تكفوا عن إلقاء الخطب العصماء الواهية وتفيقوا من اوهام القوة، والافضل وسعكم التنحي عن السلطة حولا من دون هدر الأرواح والثروات.

دعوا هذا الوطن يعود وطناً مرة اخرى
الاتحاد الاسلامي لطلبة الجامعات الايرانية
2003/5/24

الاستشارة القاتلة!

الأبعاد السياسية الخطرة للاستعانة بتجربة (الديمقراطية) الروسية

تيمور غيدار

من هو تيمور غيدار الذي قدم الى العراق من روسيا كخبير او مستشار في الخصخصة؟

الاسم تيمور هو الصيغة الروسية لاسم تيمورلنك، وغيدار هو تحوير روسي لاسم حيدر. وبهذا يكون قد جمع في اسمه سفاح رهيب وامام مهيب! طبعا انها ليست المرة الأولى التي تجتمع في أسماء البعض ما يثير الدهشة والاستغراب. ألم يدعي صدام التكريتي انحداره من سلالة البيت العلوي؟! فلم لا يحق لغيدار أن يكون كذلك في روسيا؟! واذا كان جده "غوليكوف" قد انتحل لنفسه اسما مستعارا هو "غيدار" (حيدر) بعد أن دخل الجيش الأحمر وهو في الخامسة عشرة من عمره لفرط إعجابه فيما يبدو بهذا الاسم المنتشر آنذاك بين المسلمين،

فان خلع الاسم تيمور على حفيده كان يجري ضمن نفس تقاليد الروس الكبيرة والمتفتحة. فتيمورلنك هو الآخر شخص معظم وكبير بالنسبة لمسلمي آسيا الوسطى والاوزبكيين بالأخص. وإذا كان جده قد انتحل اسما يقر بالعدالة والمساواة بما يستجيب لروح المرحلة وشعار السلطة السوفيتية، فان الحفيد قد احتوى على تناقض "التخريب والاعمار" كما كان الحال بالنسبة لتيمورلنك. وعندما سألوه مرة الا ترى في ذلك أمراً غريباً، أن يكون جدك الشيوعي المتحمس والكاتب المشهور لقصص الاطفال المجدة للنضال والاشتراكية وانت من دعاة محاربتها؟! فأجاب بعبارة "لكل زمن رجاله"! وهي إجابة صحيحة من الناحية المجردة، لكنها مدينة بالتناقض الخرب في باطنها. والقضية هنا ليس فقط في أن تيمور غيدار لم يكن "رجل زمانه" ولا حتى "بطلا من هذا الزمان"، بقدر ما انه كان نتاجا تقليديا لتقاليد "المدرسة السوفيتية" و"العائلات". ولا يختلف بهذا النحو عما هو مميز لكل تقاليد العائلات الواسعة الانتشار في سلطات الدول الاستبدادية. فقد كان جده "ضمانة" دراسته والاهتمام به ودخوله الجامعة وعمله في الكومسومول (اتحاد الشبيبة الشيوعي السوفيتي) والحزب الشيوعي والترقي في المناصب حتى الشيخوخة ثم الموت! وقد كان ذلك بالفعل. فقد أنهى المدرسة ثم دخل جامعة موسكو الحكومية وتخرج في كلية الاقتصاد وعمل فيها بصفة مدرس عادي لم يتميز بذكاء حاد ولا مكانة علمية ولا بقدر ملحوظ في إنتاج اكاديمي أو علمي متميز لا في الاقتصاد ولا في غيره. وهو الحد الكافي والضروري لحد ما بالنسبة لدخوله سلك التوظيف الحزبي. من هنا عمله في هيئة تحرير مجلة "الشيوعي" التابعة للجنة المركزية. ومقالاته القليلة جدا فيها لا تتعدى "التأييد" و"البرهنة" على صحة النظرية الاشتراكية وانعدام الآفاق التاريخية للرأسمالية. وهي "التربية" التي حصل عليها في الكومسومول، ثم تدرج فيها في عمله مستشارا عند غورباتشوف. وبما ان غورباتشوف كان نتاجا للبيروقراطية السوفيتية، كانت تجربته الإصلاحية بيروقراطية أيضا ونابعة في نفس الوقت من تقاليد خاصة بها. وهو الأمر الذي يفسر سبب بقائها لمدة خمسة أعوام عائمة في سماء التهليل والتضليل والمراوحة والخذلان في الاجتماع والاقتصاد والثقافة والعلم. أما النتيجة فقد اتضحت في بداية تسعينيات القرن العشرين، عندما كانت الدلائل جميعا تشير الى

ميثم الجنابي

فشل "البيريسترويكا" وبروز ملامح التصدع العميقة في النظام السوفيتي وبداية انهياره. حينذاك، انتقل غيدار، شأن أمثاله ممن حصل على المكانة والموقع والشهرة والوظيفة داخل الحزب ومؤسساته الى (خط المعارضة الديمقراطية). بعبارة أخرى، انه كان ممثلا نموذجيا وعاديا في نفس الوقت لتقاليد الرذيلة السوفيتية، وبالأخص رذائل الخضوع والخنوع "للأقوى والأعلى"، والتزلف والتملق ونكران الجميل. وهي رذائل لا يخلو مجتمع منها، الا انها كانت واسعة الانتشار عند عدد من ممثلي "النخبة السوفيتية"، التي تحولت بين ليلة وضحاها الى "نخبة إصلاحية" ومنها الى "نخبة ديمقراطية" وبعدها الى "نخبة معادية للشيوعية"، ثم الى "نخبة الرأسمالية" و"الليبرالية". وقد جسد تيمور غيدار كل هذه "المراحل" في غضون سنوات معدودة، ليكشف عن تكون سبيكة نموذجية في السياسة والعلم والعمل والأخلاق لا تصنع في نهاية المطاف غير الخراب! لأن كل ما فيها يتعارض من حيث الجوهر مع حقيقة السياسة الاجتماعية والعلم الرزين والعمل الرصين والأخلاق الفاضلة. ولعل تحديد هوية هذه السبيكة بعبارة "نفعية كلبية مبتذلة" قد تكون الأقرب إلى الدقة من حيث المعنى والوظيفة. ولم يكن ذلك معزولا عن طبيعة تكون "النخبة السياسية" المنبثقة من رحم التوتاليتارية السوفيتية. فقد جسدت هذه "النخبة" في ذاتها سبيكة متكونة من عناصر جوهرية ثلاثة هي كيانها الطارئ ووجودها الهامشي وايديولوجيتها المبتذلة. وليس مصادفة أن يبحث ثالوث العرضية والهامشية والابتذال الآنف الذكر، عن "قدسيته" في تهميش وابتذال كل ما هو عظيم في التاريخ الروسي والسوفيتي. ومن الممكن الاكتفاء بالتدليل على الطابع الطارئ لهذه النخبة بالإشارة فقط الى افتقار أعلامها للكفاءة العلمية والمهنية. ان الطابع الطارئ للسلطة الجديدة يتبين كذلك في "المصير الشخصي" لأغلب رجالها الأوائل. فما هي الا بضع سنوات حتى قادت جرأتهم في السرقة والاندماج في مؤسسات الاحتيال والنصب والعصابات كل ما يتخيله المرء. وعلى خلفية ذلك اصبح من الممكن القول: ان رذائل الشيوعيين هي فضائل الديمقراطيين! فقد هرب الكثير منهم واختبأ في اسرائيل والولايات المتحدة ودول أوربا الغربية وفي بعض دول أميركا الجنوبية، وجرى سجن العديد منهم لسرقاتهم ونهبهم المفرط! وسقطت أغلبيتهم الساحقة حتى أصبحت أسماؤهم رديفا لسوء العاقبة! وإذا كان سلوك هذه النخبة في بادئ الأمر يتسم بالحذر والخوف، فان "راديكاليتها" اللاحقة تكشف أيضا عن صعودها الطارئ وعدم ثقتها بالآفاق السياسية الجديدة لظهورها على مسرح الأحداث التاريخية. لهذا سرعان ما أطلقت على محاولاتها الأولى في الإصلاح كلمة الثورة. ثم عملت بخجل من خلال الدعاية الفجة بالأموال المسروقة لإقناع الوعي الجماهيري بأن مضمون (انقلابها الثوري الجديد) يهدف الى نقل روسيا من الاشتراكية الى الرأسمالية! وجعلها ذلك تنظر الى الإنجازات (التخليقية) للرأسمالية بمعزل عن قذارتها وجرائمها التاريخية. لقد سعت الى استعادة وتكرار تاريخ الرأسمالية في غضون سنوات معدودة. وهو وهم كان يصعب على هذه النخبة رؤيته، بفعل افتقادها للرؤية التاريخية، ولان تصوراتها (العلمية) عن آفاق الرأسمالية المتطورة في روسيا اشد ابتذالا من أحلام البروليتاريا الرثة في بداية القرن عن شيوعية الغد. وحالما بدأت هذه النخبة بتطبيق مشاريعها الأولى في الإصلاح الاقتصادي، فانها سارعت الى خصخصة ملكية الدولة البيروقراطية تحت شعار خلق طبقة وسطى عريضة. أما النتيجة المترتبة على (صكوك الملكية) فقد كشف عنها واقع هبوط قيمتها الى ما يعادل ثمن علبة سجائر فقط! وهو الخداع التاريخي الأول في (بسملتها الديمقراطي). فقد استطاعت بين ليلة وضحاها جعل الأغلبية الساحقة من الشعب بدون ملكية فعلية، وأثارت في اتباعها حمية الخيانة للمصالح العامة واغواء النفسية القذرة و(تهذيب) روح السرقة و(تنقية) روح العصابة وتقاليد المافيا وغيرها من الصيغ (المتمدنة) للقتل والسرقة والنهب والابتزاز. لقد صورت هذه النخبة، التي تنتمي اليها غيدار وكان من قادتها ومنظريها، اسلوب الخصخصة على انه الدواء الشامل لعلاج الاقتصاد السوفيتي المريض، وجعلت من (الفاوتشر) أو (صكوك الملكية) عصا سحرية للنجاح والغنى. وكشفت عن سحريتها الواقعية (أو المقلوبة) في تبخيرها الأصفار الأربعة للعشرة آلاف روبل المعدة لكل مواطن روسي، بحيث تحول هذا المبلغ في غضون فترة بسيطة الى ما يعادل روبلا سوفيتيا واحدا! وهي نتيجة تعكس في رمزيتها سفر النخبة السياسية والاقتصادية الجديدة (في الاقتصاد والتاريخ والسياسة)، التي كان غيدار يقودها آنذاك. وفي الواقع لم تكن الخصخصة و(صكوك الملكية) اكثر من أسلوب سياسي - اقتصادي مبطن للطفيلية الجديدة. وليس مصادفة ان تشكل الخصخصة الأجزاء الأكبر و(الإنجاز الأعظم) لهذه النخبة. وفي هذا الأسلوب كانت ولا تزال تكمن كل عناصر وآلية و(نظام) إنتاج الاقتصاد الطفيلي واقتصاد الظل والعصابات والمافيا وانعدام القانون والفقر الشامل للدولة الشرعية والمجتمع المدني وحقوق المواطن والإنسان.

وأفرزت سياسة (صكوك الملكية)، التي دعاها الشعب الروسي بصكوك السرقة، أسس المدنية التي فرخت (الأهرامات المالية) (البنوك الكاذبة) والروح اليهودي - الربوي بكل قسوته ورذائله (النموذجية). وجسدت في كل أقوالها وأفعالها نكوصا شاملا للروح الإنساني وقيم العدل والمساواة والإخاء وحقوق الإنسان. من هنا غربتها واغترابها عن التاريخ الوطني الروسي وتقاليده. ومن هنا أيضا الصيغة المقلوبة للاستحواذ عليه كما استحوذت على ثروته المادية. بحيث نراها تولع بمظاهر البهرجة الزيفة المميزة لنفسية وذهنية البرجوازية الطفيلية كالانهماك الشديد في ترميم الكنائس وتخريب الأخلاق، وترميم بعض المباني القديمة من اجل بيعها في أسواق العصابات، واستعادة بعض شعارات القيصرية دون قياصرة وأمراء، وإعادة ترميم الكرملين بتكاليف تجعل من رئيس الدولة الديمقراطية شبيها بأباطرة القيصرية المتهرئة، وإحياء مومياء الارستقراطية والنبلاء ببيع وشراء ألقابها في مزاد للمضاربات، وإشاعة الحرية المحررة من كل التزام بقيم ومصالح الأمة والدولة، و(الدفاع) عن العلم من خلال دعوة الأساتذة للاعتماد على أنفسهم! ودعوة المنتجين الوطنيين الى المنافسة في ظل شروط لا تنفع فيها حتى أجور العاملين! وتطوير الزراعة (بالطريقة الأمريكية) التي خربت الأرض والفلاحين على السواء. طبعا ان ذلك لم يكن معزولا عن غياب أو ضعف تقاليد الليبرالية في روسيا. فالديمقراطية (أو الليبرالية) الروسية التي حاولت هذه النخبة تمثيلها لم تعان فكريا وسياسيا من اجل تأسيسها المستقل. فهي بدون أساس فلسفي أو تاريخي أو سياسي أو أدبي أو حتى لغوي. وليس مصادفة أن تكون الصحافة والإعلام الرخيص ميدانها الوحيد. وليس اعتباطا أن تصوغ مفاهيمها السياسية - الاقتصادية - العملية بمصطلحات لاتينية غير مفهومة للأغلبية الساحقة من الشعب. وهذا دليل عجزها عن إبداع أيديولوجية فعالة وقادرة على توحيد المجتمع وانهاضه صوب تحقيق البديل الأعمق والأكثر إنسانية. إذ لم يكن بإمكانها الاعتماد على الدين (الأرثوذكسي - النصراني - الروسي) على الرغم من استغلاله الجزئي (في محاربة الشيوعية!)، كما لم يكن بإمكانها الاعتماد على عناصر الفكرة القومية - الروسية أو ميادين الوحدة السوفيتية، لان كلا من (الأرثوذكسية والقومية والسوفيتية) يتعارض تعارضا شبه تام مع التوجه الغربوي - الأوربي واليهودي (الصهيوني) - الربوي فيها. مما حدد دوره غياب عناصر القوة القادرة على توحيد المجتمع والدولة بمبادئ القانون والدولة القومية والعدالة الاجتماعية. أما الحصيلة المباشرة لهذه العملية فقد كانت استفحال الفساد وشموله جميع ميادين الدولة وانحلال مؤسساتها وتلاشي إمكانيات بناء المجتمع المدني والوحدة الاجتماعية والقومية بالشكل الذي يجعل منها مصدرا للتقدم الاجتماعي والإنساني. وقد كان تاريخ هذه النخبة ولا يزال نموذجا لصنع الاحتراب الاجتماعي والمؤامرات والمغامرات وإضاعة الفرصة التاريخية أمام روسيا لبناء دولة المؤسسات الشرعية والنظام الديمقراطي الاجتماعي والمجتمع المدني. وقد تجلى ذلك بوضوح في إثارة الفتن والحروب الداخلية المستمرة والاغتيالات الدائمة السياسية منها و(الاقتصادية). من هنا كان نشاطها ولا يزال يصب في اتجاه توسيع الخراب وجعله (منظومة) تلف المجتمع والدولة، ومن خلالها إعادة إنتاجه وإبقاء روسيا في دورة غير متناهية من (الإصلاح) الفارغ. أما النتيجة (التاريخية) لعمل هذه النخبة فقد أدت في الواقع الى الانهيار الكامل للشعارات التي حاولت أن تجعل منها امتيازها الخاص على مسرح روسيا السياسي المعاصر.

وهو انهيار وثيق الصلة بطابعها الطارئ وهامشيتها الاجتماعية وفقدانها للرؤية الاجتماعية التاريخية عن الصلاح الضروري والواقعي لروسيا. وهي نتيجة كان تيمور غيدار احد (رجالها) الكبار. بل يمكن القول بأنه كان احد أجرأ (مهندسيها) وأشدهم قسوة ومكرا فيما يتعلق بوضع (استراتيجية) النهب الشامل والإفقار المطلق للأغلبية الساحقة من الشعب الروسي. بحيث يجعله ذلك - حقيقة وليس مجازا - عراب السرقة التاريخية الكبرى لروسيا. ولعل السؤال العملي الأكثر إلحاحا بهذا الصدد يمكن بلورته بالشكل التالي: أي شيء يمكن تعلمه من (مستشار) هذه أقواله وأعماله وصفاته ونتائج أفعاله بالنسبة لبلده الأم؟! والقضية هنا ليست فقط في أن تعليمه لم يتعد (احتراف) النصوص الماركسية عن الاقتصاد الاشتراكي، ومن ثم، فان موقفه من الأساس كان مبنيا على (معاداة) و(انتقاد) الرأسمالية، التي تحول الى مدافع (محترف) عنها وبجهله الفاضح لواقع روسيا نفسها والتاريخ الروسي. ولا اعتقد أن (مستشارا) كهذا لا يعرف شيئا عن العراق يمكنه أن يقدم (استشارة) له فيما يتعلق بآفاق تطوره. من كل ما سبق نستطيع أن نتوصل الى أن (ترشيحه) لموقع (المستشار عن آفاق المرحلة الانتقالية في العراق) أو حتى مجرد التفكير (باستشارته) ما هو في الواقع سوى صك جديد من جانب بعض فرق المافيا العالمية (في الولايات المتحدة) كشكل من أشكال رد الجميل على (خدماته) لها في وقت سابق، وكذلك شكل من أشكال الدعم لتنشيط وتوسيع (القيمة العلمية) لمؤسسته (العلمية) "معهد دراسة (مراحل الانتقال)". ان الاستشارة الفعلية التي يمكنها أن تخدم إمكانية إرساء أسس وشروط التقدم والتطور الفعلي في العراق تفترض كحد أدنى إدراك تاريخه المعاصر وإمكانياته الواقعية وسبل تجسيدها بمعنى ضرورة ارتكازها الى رؤية عقلانية واقعية تتمحور حول بناء أسس الدولة الشرعية والمجتمع المدني والاقتصاد الحر، بمعنى الديناميكي المنتج. وإذا كانت تجربة روسيا المعاصرة والخربة التي شارك غيدار في نخر أسسها، هي استمرار لتاريخ التوتاليتارية، بمعنى ان تاريخ الإصلاح فيها ورجاله ورؤياه ونماذج الحلول المقترحة له كانت من بين (النخبة) الجديدة المتربية في تقاليد التوتاليتارية، فان الاعتماد على (مستشارين) من هذا الصنف يعني إعادة تحنيط ونماذج (التوتاليتارية) البعثية الصدامية بعد مسخها بالتجربة الروسية الفاشلة. أي انها إعادة إنتاج للتوتاليتارية العراقية بعد تقلبها رأسا على عقب.